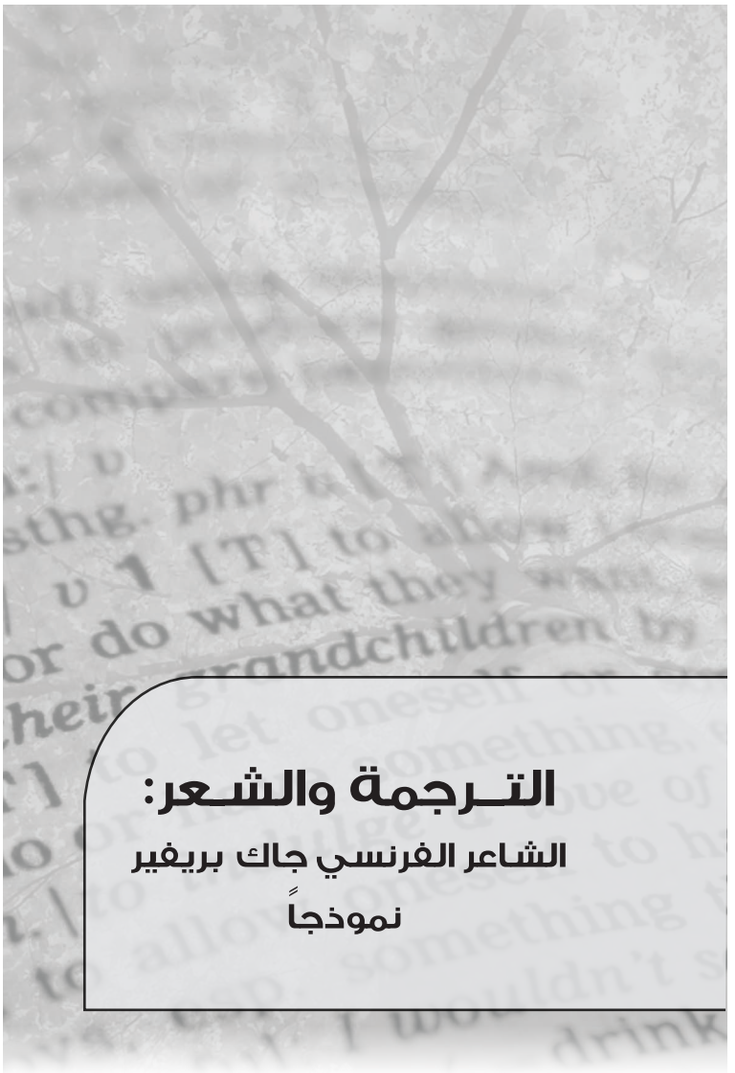

التــرجمة والشـعر:
الشاعر الفرنسي جاك بريفير نموذجاً

• أ. د. أحمد درويش

تمثل درجات العلاقة بين النص في لغته الأصلية التي كتب بها، والنص الذي نحاول ترجمته إلى لغة أخرى، ظاهرة تسترعي التفات النقاد والدارسين، انطلاقاً من التساؤل عن العناصر القابلة للترجمة والعناصر غير القابلة لها، وعن إمكانية تعويض المفقود أثناء عملية الترجمة والنقد وإمكانية نقل الإحساس بالمتعة أو الفائدة، لدى قارئ النص الأول في لغته الأصلية إلى قارئ النص الثاني في اللغة المترجم إليها. وتكاد ظاهرة مفهوم الشكل والمعنى، وقابلية أو عدم قابلية كل منهما للترجمة الدقيقة، خاصة بعد ما فرعت الدراسات الحديثة كلا من هذين العنصرين إلى عناصر داخلية، تتمثل في وجود ما يسمى شكل الشكل ومعنى الشكل، وشكل المعنى، ومعنى المعنى. وأصبح من الضروري التأمل في إيجاد ما يمكن نقله أو فقده أو التعويض عنه من هذه العناصر. وفي هذا الإطار لا تتساوى كل النصوص المترجمة، من حيث طبيعة النص ذاته وإمكانيات الترجمة أو النقد أو التعويض، وتكاد ترى ثلاثة أنماط مختلفة في إمكانيات الترجمة من هذا المنظور. ويتمثل النمط الأول في العلاقات الرقمية والحقائق البسيطة مثل 1+1= 2، حيث يمكن ترجمتها إلى أي لغة، دون أن تفقد شيئاً سوى شكل الشكل الذي يمكن تعويضه. ويتمثل النمط الثاني في العبارات الأدبية والتراكيب المجازية، التي قد ترتبط أحياناً، بمناخ ثقافي أو اجتماعي، يختلف في اللغة المترجم منها عن اللغة المترجم إليها، ويتطلب هذا جهداً خاصاً يتم أثناء الترجمة لتقريب الفجوات، والمحافظة على روح النص. أما النمط الثالث، فيتمثل في ترجمة الشعر، حيث يقوم جزء رئيسي من مكونات المتعة في النص على خصائص الشكل الموجودة في لغته الأصلية، التي لا بد أن تختفي مع أول خطوات الترجمة، وينبغي التساؤل عن ضرورة أو أهمية تعويضها. وقد أصبحت هذه المشكلة ظاهرة في تاريخ ترجمات الأعمال الشعرية وبنى اللغات، وإمكانيات نقل روافد المتعة الهائلة في هذا المعنى من لغة إلى أخرى، أو التضحية بجانب الشكل التقاء بالمتعة الكامنة في المعنى أو المحتوى أو التصوير.

وقد أردت أن أواجه هذه المشكلة مواجهة عملية، من خلال ترجمة مجموعة من النصوص الشعرية الفرنسية، إلى نصوص تكتسي خصائص شعر التفعيلة في اللغة العربية، هذه النصوص للشاعر الفرنسي (جاك بريفير Jaques Prevert)، وهي: قصيدة:

(Pour Faire le Portrait d>un Oiseau): لكي ترسم لوحة لعصفور، وقصيدة:

(Pour toi mon amour): لأجلك يا حبي، وقصيدة:

(Histoir du cheval): قصة حصان.

النموذج الأول: الترجمة:

(1) لكي ترسم لوحة عصفور
للشاعر جاك بريفير

ارسمْ قفصاً مفتوحَ الأبواب.
ثم ارسمْ أشياء بسيطة،
أشياء صغيرة،
مما يعشقه العصفور.
علّقْ لوحتك المرسومة
في شجرة في بعض حدائقنا
أو في إحدى الغابات
واختر أجمل أفرعها ... كي يقف العصفور عليها؛

* (كلية دار العلوم – جامعة القاهرة)

وتخبَّأْ خلف الشجرة
لا تهمس. لا تتحرك
وترقَّبْ حتى يأتي العصفور
وتمهَّلْ لا تتعجل
أحياناً ... قد يأتي العصفور سريعاً.
لكن قد تمضي السنوات ... قبل مجيء العصفور.
لا تيأس، وترقب
فمجيء العصفور سريعاً.
لا يعني أن اللوحة حلوة
ومجيء العصفور بطيئاً
لا ينقص من قدر اللوحة
حين يجيء العصفور إذا جاء
راقب من أعماق الصمت.
وتمهل حتى يلج العصفور إلى باب القفص المرسوم
وعليك إذن أن تتقدم في كل هدوء،
تغلق بالفرشاة
باب القفص المرسوم
بعد قليل ... وبنفس الريشة
أزل الأعمدة المرسومةَ في القفص عموداً بعد عمود،
واحذر أن تلمس شيئاً من ريش العصفور
وارسم فوق اللوحة شجرة
واختر أجمل أفرعها
كي يقف العصفور عليه
ثم ارسم عشباً أخضر
وارسم بعض نسيم طازج
وارسم بعض شعاع الشمس.
وضجيج الحشرات الشجرية، حين تهب رياح الصيف،
وترقب ... حتى يتغنى العصفور؛
فإذا ما قرر أن لا يشدو
كانت تلك علامة سوء
لم تعجبه اللوحة،
أما إن غنَّى
فعلامة حسن،
في إمكانك أن تضع التوقيع على اللوحة
وعليك إذن أن تتقدم في كل هدوء
وتنزع واحدةً من ريش العصفور
وتكتب في زاوية اللوحةِ:
اسمَ الفنان.

النموذج الثاني: الترجمة

لأجلك يا حبيبي
للشاعر جاك بريفير

حبيبي،
ذهبت لسوق العصافير.
اشتريت لأجلك عصفورة.
يا حبيبي،
ذهبت لسوق الزهور،
اشتريت زهورًا؛
لأجلك أنت حبيبي
ذهبت لسوق الحديد
اشتريت سلاسل
سلاسل كانت ثقيلة
لأجلك أنت حبيبي،
ثم ذهبت لسوق العبيد
فتشت عنك
ولكنني لم أجدك
حبيبي.

النموذج الثالث: الترجمة

(2) قصة حصان
للشاعر جاك بريفير

فلتسمعوا يا أيها الشجعان
حكايتي
رحلة عمري ... قصتي
فذلك الذي يقص فرس يتيم
يحكي لكم همومه الصغيرة
أو من الهموم.

* * *

ذات صباح كان صاحبي القديم
«الجنرال»
أو فلنقل ذات مساء
كان لهذا القائد الكبير
زوجان من خيل أصيل،
ماتا معه من تحته
أو من الهموم،
مريرة هي الحياة
كان أبي الشقيُّ وأمي الشقية
هما اللذين اختفيا تحت السرير
تحت سرير القائد الذي اختفى

في موقع محصن في آخر الصفوف،
في مدينة نائية في طرف الجنوب
كان إذا ما أقبل الليل
يكلم القائد نفسه،
يروي همومه الصغيرة
وهكذا
ذات مساء
من كثرة الهموم
تحت ذلك السرير ينفقان
أما أنا فقد فقدت منبع الحنان
وعندما انتهيت ليلة
من وجبة العشاء في الاسطبل
أطلقت ساقيّ إلى المدينة الكبيرة
وخطوة فخطوة
معذرة يا أيها الشجعان
وصلت للمدينة الكبيرة
وفي حوافري سنابك صغيرة
طلبت أن ألقي الأسد ... مليكنا
فكان أن صفعت صفعة
على المؤخرة
كانت طبول الحرب يومها تدق
فألجموني، أسرجوني، عبأوني للقتال
وصلت ساحة النزال
لكن لأن الحرب تستمر ... تستمر
فالعيش يقسو والغلاء يستعر
وكلما اشتد الغلاء
وكلما مررت في الطريق
رأيت نظرة غريبة في أعين البشر،
تصحبها قضقضة الأسنان
ظننت أن الكلمة الغريبة
تطلق في بعض اللغات
على الحصان
آه من الهموم،
رأيت كل الأصدقاء
من كانت الأيدي تمر منهم مداعبة
على خصائل الجبين
من كان يرجو لي مزيداً من بقاء
رأيتهم ينتظرون أن أموت؛
لكي يصير لحمي الشهي
مأدبة العشاء

وليلة ... كنت أنام،
سمعت في الإسطبل ضجة خفيفة
سمعت صوتاً ليس بالغريب
قد كان صوت صاحبي القديم ... الجنرال
قد عاد من جبهته يصحبه رفيقه العجوز
ظنا بأنني أنام ... تهامسا
كل الذي نريده
بعضا من الماء ... من الأرز
وأن نُعِدَّ لحم ذلك الحصان
تدور في عروقي الدماء
كأنني ثور يهيج
أقفز من حواجز الإسطبل
ثم أطلق الساقين للريح
أفر ... أحتمي بقاع غابة بعيدة.
والآن،
تنتهي وقائع الحرب
يموت الجنرال في سريره
يموت ميتة مريحة
لكنني أعيش
طاب مساء «الجنرال»
طابت ليلته
وفتحت لكل ألوان الطعام شهيته.

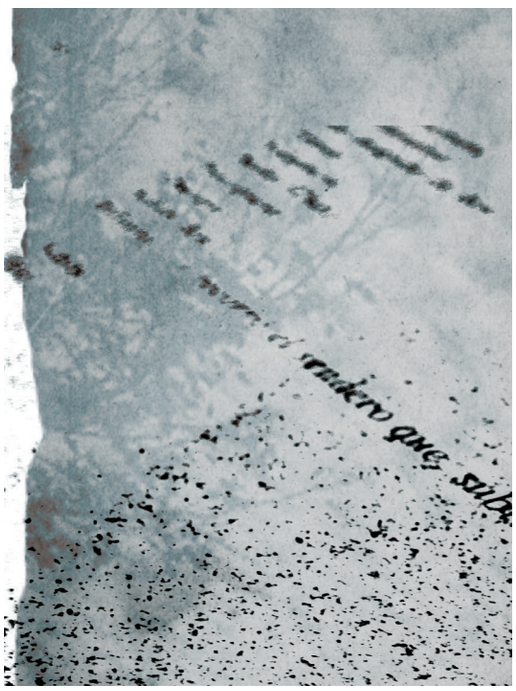

الشاعر البولندي
ألكسندر نافروتسكي*
Aleksander Nawrocki

• خريج الدراسات الأدبية البولندية والهنغارية والإتنوجرافية في جامعة وارسو. واستكمل دراساته العلمية في هذه التخصصات الأدبية في المجر ورومانيا.

• شارك بحضوره المستمر في محاضرات الفلسفة التي كان يحاضرها أهم فيلسوف بولندي معاصر وهو «ليشيك كوواكوفسكي».

• يحتل المرتبة الأولى في العالم حيث كتب في عام **1966** أول دراسة علمية (ماجستير) عن الشاعر البولندي «تشيسواف ميووش» الذي قد حصل في التسعينات من القرن المنصرم على جائزة نوبل في الأدب (عن مجمل أعماله الشعرية).

• قدم الشاعر «نافروتسكي» أول أعماله الشعرية في عام **1965** ونشرت في المجلة الأسبوعية (الثقافة)، والتي كان يرأس تحريرها الشاعر البولندي «ستانيسواف جروخوفياك – **Stanislaw Grochwiak**» والذي كان يطلق عليه لقب «أمير الشعراء».

• في عام **1966** أصدر ديوانا شعريا بعنوان « الفواكه الصدئة»، وقد استقبل النقاد هذا الديوان بحفاوة كبيرة.

• للشاعر «أ. نافروتسكي» عشرة دواوين شعرية، ومجموعتان من القصص القصيرة، ورواية طويلة عن حياته الماضية بعنوان « ظل ملاكه»، فضلا عن كتب أخرى من بينها كتابه العلمي عن الشامان في سيبيريا، وكتاب يتضمن مقالات وريبورتاجات صحفية بعنوان: «كيف قُتِـلَ «إيمر ناجيا – **Imre Nagya**» (وهذه المقالات والريبورتاجات هي عن ثورة المجر في عام (**1056**)، وكذلك قام شاعرنا بترجمة الشعر السلافي: الروسي والبلغاري والأوكراني والصربي، فضلا عن الهنغاري والفنلندي.

• منذ عام **1992** وهو صاحب دار النشر البولندية «**IBiS**».

• منذ عام **1998** يشغل منصب رئيس تحرير مجلة «الشعر اليوم». وهي تصدر بشكل رئيسي شعر الأدب المعاصر سواء البولندي منه أو الدولي، وقد صدرت في هذه المجلة: مقتطفات أدبية مختارة من الشعر اليوناني والإسباني والهنغاري والفنلندي والروسي والأوكراني.

• الشاعر «أ. نافروتسكي» هو مؤلف وناشر لكتاب «الشعر البولندي – مقتطفات أدبية مختارة من الشعر تغطي ألف عام من الشعر البولندي»: (ثلاثة كتب، **275** شاعراً بولندياً من مرحلة «القصائد الأولى التي مجدت اسم بولندا» وحتى اليوم – وعدد صفحات هذا الكتاب **1800** صفحة).

• منذ عام **2002** وينظم شاعرنا «نافروتسكي» أيام الشعر العالمي في بولندا بإشراف هيئة اليونيسكو، وقد منح فيه أشهر الشعراء البولنديين جائزة « **Laur UNESCO**»، أما الجائزة التالية فقد خصصت لمترجمي الشعر البولندي في ترجمات أجنبية. تستمر هذه الاحتفالية بالشعر مئة يوم – ويحتفل بهذه التظاهرة بداية في العاصمة وارسو، لتتواصل في مدن بولندية أخرى، وتنتهي في مدينة «فيلنو» .

• من العام الماضي ينظم شاعرنا «نافروتسكي» مهرجان الشعر السلافي. ويحتوي هذا المهرجان عدداً من الجوائز، من بينها: وسام الاستحقاق «الصليب الذهبي»، وكذلك الجائزة الدولية للشعراء عن إبداعاتهم الشعرية فضلا عن محاولاته توسيع مساحة تلقي الشعر السلافي في بولندا (**2008**).

• أما هواية الشاعر البولندي «أ. نافروتسكي» فهي فن العمارة عامة وتصميم المنازل خاصة.

---

* الترجمة عن البولندية إلى العربية: دوروتا متولي وهناء عبد الفتاح

ألكسندر نافروتسكي

ثلاث قصائد للشاعر:

أناشيد أورفيوش الثلاثة

أنت ربيع وطني الصخري،
ثمرة مذاقها يتخلل الكهف الأجوف،
ويأمر الفكر بالترحال ما بين القطبين.

أنتِ سماء وأرض متشققة،
حدود، حيث تنطفئ الرياح، حيث البحر
ليس متكاملا، وممتلئ بالنبيذ
ومياهه تحمل لونا «لازورديا» صافيا
أنتِ سلسلة، تطوق يومي،
يوم واحد طويل له عيون غزالٍ
مموهة في جسد طيني لسمكة.

2

الشوارع مرتاحة، تترقرق جوا،
شوارع كأمهات حزينة
كأجمل «الجيرنيكات» ، كجندي
مصاب، في لحظة وُقِّعَتْ فيها اتفاقية استسلام...
شوارع المدينة، أشاهد بواباتها
من بين براعم الأزهار المتفتحة أثناء المطر،
أشاهدها فقط في زمني،
من بين الأشياء والمواد التي يمكن لمسها
تلك التي تحمل مسميات نافعة،
شوارع سرتِ فيها ليس نحوي،
وأنت تعشقين أغانيَّ.

3

إيوريديكا، لقد أطفأتُ أغانيَّ، عندما مِتِّ،
بدأتُ الكلام وفي كلماتي شُيِّدَتْ
مواد غريبة، بدأت بخدمتها،
قلب غريب، بدأت تفهمه
وبدأت عشق السيف والصُلْبِ،
وأسميت المعاناة ضوءا
تشبه حوافر حيوانية.
توقفت نجمة من النجوم آنئذ مندهشة
وعلى الفور تحطمت،
وهي تدفن ظلها في تشنجات الألوان المتدرجة،
وصمت يجرجر بعده أذياله داخل نسق الكواكب السيارة
وهي على يقين من مهمتها.

إيوريديكا، البكاء من بعدك ستكون له ضربة لا صدى لها
تتجه نحو شجرة مزهرة، كالكلمة قبل قرون من الزمان،
حيث لا أحد اليوم يعرفها ولا أحد يريد أن يفهمها،
سيكون ثمة طريق يسير بمحاذاة خط الاستواء،
وسيكون اسمك كالجليد، فيه تنغرز نجمة حية.

إيوريديكا، لا تعودي، فالهواء ما يزال تلتئم جراحه
بعد المعارك، تلتئم صيحتك الساخرة
ونظراتك المنسلة الأفعوانية التائهة،
حيث كنت أقف أنا أكثر قربا من ذلك كله.
فكيف لنا أن نلمس من جديد أيادينا، كيف لنا
أن نسمي الحب، الذي ما يزال تحت جلودنا؟
ما الذي يمكن لك قوله حول بكائي العظيم؟

العشـاق
لا تزعجوا العشـاق
لأن الموت فوق رؤوسهم يزداد وحدة
وعندهم يطالب الربيع بمزيد من الأزهار
عندما يختطفهم الفجر في أحضانه.
وتحملهم الطيور فوق الطرق المتفرقة
عندما تتعطش النهيرات للقاء البحر
حيث تدق الكلمات أجراسها الحمراء الذهبية
حيث الأجساد النحيلة ترتفع بقاماتها من فوق عناقيد الورود البيضاء
لا تزعجوا العشـاق
قبل أن يصيبهم الكبر في مقتـل:
إنهم كالستارة الزرقاء
التي تغلق أحزان المشهد المسرحي.

لا تكرر
لا تكرر اللحظة التي عايشت جمالها مرة،
فالتنين في تلك اللحظة يرتعش، والطيور تسقط، واليوم يتشقق
وفتاتك المتفردة، شعرها
سيظهر منه المشبك المعدني الصغير، وصفير الشحرور
يغني في ظهر يوم ممطر بائس –
حيث تواصل الزهور حيواتها في أصعب اللحظات؛
لذا عليك أن لا تعود ثانية للحظة قمتَ فيها بالوداع
ولا تتحسر إذا كنت قد خلّـفتَ من وراء ظهرك شيئا ما..
ففي السهل البعيد ترى شعلة النار بعيدا بعيدا
ولكن في شعلة النار؛ دائما ما يرى فيها شيء يحترق.